إهـــــداء

- تعلمنا أن الإنسان يهدي أحسن ما لديه، وأحسن هدية هي هدية العلم والتعبد، وقد اجتهدت لإنجاز هذه الكتاب كي أهديه:
- إلى روح والدي الذي أوصاني بالصلاح والنجاح، وترك لي في نفسي حافزا يدفعني إلى التفاؤل.
- إلى والدتي الغالية التي تُرفقني بدعواتها بكرة وأصيلا.
- إلى زوجتي الكريمة والفراشتين الصالحتين: سيرين وبصائر، وكل إخوتي واخواتي.
- كما أهدي عملي هذا إلى أبي اللسانيات العربية: **الخليل بن أحمد الفراهيدي** وكل من سعى لإحياء علمه، وإلى روح مفكر الحضارة **مالك بن نبي** الذي بفكره عرفت معنى الفعالية والرسالية في الحياة.
- إلى عالم الجزائر الشيخ **محمد الطاهر آيتعلجات** الذي فتح لي أبوابا من العلم كنت أجهلها في حلقات مسجدية ببوزريعة.
- إلى كل من علمني حرفا من لغة الضاد، ومنح لي من كل بستان زهرة وأخص بالذكر المعلم **جمال زواقري**والأساتذة **محمد بخوش وعمار عمران وكمال بعاسو**، والدكاترة: **محمد بوعمامة ومحمد مبارك حجازي**. إلى كل أبناء قريتي الطيبين الذين يكنون لي الاحترام والتقدير خاصة الآباء والتلاميذ.
- إهدائي مكتنف بين ثلاثية عظيمة: ديني العظيم ووطني الحبيب ولغتي الشريفة، إليك يا جزائر ومن أجلك بقلمي ولساني، وأعظم من ذلك بسعيي لرقيك ومواصلة درب الشهداء.

عادل زواقري

obeikan.com

مقدمـــة

الحمد لله الذي وفقنا لافتتاح المقال بتحميده، وهدانا إلى تصدير الكلام بتمجيده وألهمنا الإقرار بكلمة توحيده، وبعثنا على طلب الحق وتمهيده، والصلاة على المصطفين من عبيده، خصوصا على محمد وآله المخصوصين بتأييده وبعد:

فإن أشرف حياة للإنسان هي حياة البحث في مختلف العلوم والمعارف، لأنه منتهى الإخلاص والطموح، ولذلك عرفت الأمم بسعيها إلى البحث والاكتشاف.

وتميز في كل أمة نفرٌ من الناس أفنوا حياتهم بحثا عن الحقائق التي تخدم دينهم ولغتهم وحياتهم، فكانت بذلك العلوم التي تضمنت الحقائق العلمية والتي بقيت عبر الأزمان.

وليس من الممكن أن نتصور حياة وبقاء لهذه العلوم دون وسيلة تنقلها عبر العصور إلى أبناء الدنيا كلهم فلا بد من آلة منطقية تخدم جهود العلماء، وهذه الوسيلة في اللغة.

ومن المقرر أن الأصل في العلوم النفع والشرف، لأنها يُسعى بها إلى معرفة الحقائق كما هي والإفادة منها، لذلك نجد أن المسلمين قد اهتموا في أيام الحضارة بشتى العلوم، ومن هذه العلوم علوم اللسان التي لها اتصال مباشر بالقرآن الكريم.

ونجد من العلوم التي لها علاقة باللسانيات: الصوتيات، وهي ترتبط مباشرة بالأداء القرآني، ولذلك كان معظم النحاة الأوائل قراءً، وأبرز أولئك: الخليل بن أحمد الفراهيدي الذي يعتبر من أوائل من خاض في الصوتيات وذلك بالاستناد إلى معجمه العين، وله فضل عظيم من خلال:

1. كونه أول من رتب الحروف العربية ترتيبا يخضع لمخارج الحروف بادئا من أقصى الحلق إلى الشفتين، ويعتبر كتابه: " العين " أقدم ما وصلنا في هذا المجال.
2. تحديده لمخارج الحروف وصفاتها بالاعتماد على التجارب النطقية والحدس اللغوي.

هذه هي بداية الدراسة العلمية لأصوات اللغة، لتتسع دائرة البحث والتقصي فظهرت أفكار جديدة لم تكن معروفة خاصة عند سيبويه وابن جني، إلا أن الطارئ مع الفلاسفة والأطباء كان لافتا للانتباه، لأنه استند فيه أصحابه إلى معايير جديدة كل الجدة

خاصة عند ابن سينا الذي هو لب الدراسة من خلال بعض بحوثه في الصوتيات ومصطلحاتها.

فمن بين أولئك جميعا وقع اختياري على ابن سينا، وبالضبط على سفر من أسفاره، وهو صغير الحجم إلا أنه عظيم العلم، والبحث فيه ليس في جانب الصوتيات في حد ذاتها، وإنما في علم المصطلح الصوتي، ولذلك كان كتابي الموسوم بـ:

المصطلح الصوتي عند ابن سينا من خلال رسالته: أسباب حدوث الحروف.

ومن أهم الأسباب التي دفعتني إلى البحث في الموضوع ما يلي:

1. الاهتمام الكبير لهذا الفيلسوف بالمصطلح العلمي.
2. مخالفة ابن سينا لغيره في كثير من المصطلحات خاصة في رسالة أسباب حدوث الحروف.
3. الجهود الصوتية الكبيرة التي بذلها ابن سينا في الصوتيات والتي تحتاج إلى الدراسة.
4. ما يؤكده البحث العلمي من علاقة بين الصوتيات وعلوم أخرى كعلم التشريح والفيزياء وهو ما تجلى في الرسالة خاصة علم التشريح.
5. تطرق ابن سينا إلى جوانب مهمة في الصوتيات، وتوصله إلى قضايا مكملة لما توصل إليه علماء العربية وبعض علماء التجويد، ويتجلى ذلك من خلال مصطلحاته الحديثة وهو أمر مهم جدا.

إن كون الصوتيات علما تجريبيا بالدرجة الأولى وكونه شديد الاتصال بعلوم أخرى كعلم التشريح والفيزياء وعلم النفس الإدراكي... يجعل الباحث يسعى لمعرفة أسرار هذا العلم كما أن المصطلحات التي يوظفها العلماء في هذا الميدان تحيلنا إلى مجالات تجريبية أخرى وهذا أمر يستدعي الضبط، وحقيقة التجريب في الصوتيات بدأت منذ الدراسات الأولى حيث كان النحاة- وهم قراء أيضا- يهتمون بتجويد القرآن وضبط قواعد القراءة.

ومن أجل الوصول إلى ضبط الموضوع جيدا، والإحاطة بمضامينه قدر المستطاع قسمت الكتاب إلى مقدمة وتمهيد ومدخل وأربعة فصول وخاتمة مع ملحق فيه صور تشريحية

لأعضاء النطق وقائمة لمصطلحات الصوتيات النطقية الواردة في الرسالة وقد رتبتها ترتيبا ألفبائيا، وهذا مطلب ضروري لأن البحث قائم على النتائج التشريحية عند ابن سينا مع الإفادة من العلم الحديث.

ففي التمهيد تحدثت عن أهمية التراث الصوتي العربي وعن الجهود الصوتية للصوتين العرب الأوائل، ثم عن تميز الفلاسفة والأطباء بدراساتهم الصوتية عن النحاة وعلماء التجويد، لأبين أن من هؤلاء جميعا وقع اختياري على فيلسوف وطبيب اشتهر بآرائه القيمة في الصوتيات وهو ابن سينا من خلال نموذج علمي واحد هو رسالة أسباب حدوث الحروف وهذا توطئة للدخول في البحث.

أما المدخل فخصصته للحديث عن حد المصطلح والمفهوم وعلاقتهما بعضهما البعض وكذا تعريف علم المصطلح، وهذا ضروري جدا لأن صلب الموضوع حول المصطلحات ومفاهيمها عند ابن سينا مع الاستعانة بما قاله الصوتيون العرب مثل: الخليل وسيبويه وابن جني، من أفكار هي مفاهيم لهذه المصطلحات، وبذلك تعرف بعض الفوارق الكامنة بين مفاهيم ابن سينا وغيره وكذا يعرف فكر ابن سينا.

أما الفصول فقد جاءت كما يلي:

الفصل الأول:الصوتيات العربية التراثية ومصطلحاتها: وهذا من أجل الحديث عن نشأة الدرس الصوتي عند العرب قبل ابن سينا، وقد قسمته ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الصوتيات: مفهومها، فروعها، أهميتها.

المبحث الثاني: نبذة عن الجهود الصوتية العربية قبل ابن سينا، فتحدثت عن أهم الصوتيين العرب قبل ابن سينا.

المبحث الثالث: المصطلح الصوتي عند ابن سينا: حيث تحدثت أولا عن الصوتيات عند ابن سينا بتحديد أنواعها، وعن منهجه في الدراسة، ثم عن المصطلح والمنهج المتبع في الاصطلاح، إضافة إلى تبيين أهمية رسالة أسباب حدوث الحروف من خلال المضمون والمنهج.

الفصلالثاني:مصطلحات الجهاز النطقي عند ابن سينا: وقسمته ثلاثة مباحث

المبحث الأول: مصطلحات آلة التنفس.

المبحث الثاني: الحنجرة: وفيه حديث عن مكونات الحنجرة من غضاريف وأجزاء وكذا العظم اللامي ومكوناته، ثم هيئات الحنجرة وعضلاتها.

المبحث الثالث: التجاويف فوق المزمارية(التجاويف العليا)، وفيه حديث عن التجويف الحلقي(الحلقومي) والتجويف الفمي وكل مكوناته، دون ذكر التجويف الأنفي لأن المؤلف لم يذكره وإنما أشار فقط إلى تجويف آخر المنخر في الرواية الثانية.

الفصل الثالث:مصطلحات مخارج الحروف: وتخصيص مخارج الحروف بفصل مستقل هو ما بدا مناسبا، ولاحظنا أن أقدم الصوتيين أفردوا مخارج الحروف بعنوان، وهذا فصل في أبسط صوره، وتحدثت فيه عن مفهوم المخرج والمحبس وكذا مصطلحات المخارج الواردة وغير الواردة وقسمته مبحثين:

المبحث الأول: حد المخرج والمحبس.

المبحث الثاني: مصطلحات المخارج المذكورة في الرسالة.

المبحث الثالث: حروف لم يحدد المؤلف مخارجها بالمصطلحات.

ففي هذا الفصل حديث عن كون طريقة ابن سينا متميزة جدا في تبادل مخارج الحروف، وكان لا بد من استشفاف المخارج لأن معظمها غير مصرح به.

ولعل السبب الرئيسي في ذلك كما سيتضح أكثر في البحث أن ابن سينا إنما قصد أسباب حدوث الحروف كما عنون رسالته.

الفصل الرابع: مصطلحات صفات(هيئات الحروف): الحروف باب واسع وفصل الصفات في باب مستقل لاحظناه في أبسط صوره عند الصوتيين الأوائل كالخليل وسيبويه وابن جني، عندما درسوا صفات الحروف وارتأيت أن يكون فصلا مستقلا بذاته انطلاقا مما ورد في الرسالة نظرا لاهتمام ابن سينا بالهيئات بطريقة الطبيب المشرح. ولتفصيل الكلام في ذلك جيدا قسمت الفصل خمسة مباحث:

المبحث الأول: مصطلحات الصفات المتقابلة الواردة في الرسالة.

المبحث الثاني: مصطلحات متقابلة ورد طرف منها فقط.

المبحث الثالث: المصطلحات المتقابلة غير الواردة في الرسالة.

المبحث الرابع: الصفات المنفردة(غير المتقابلة) الواردة.

المبحث الخامس: مصطلحات الصفات المنفردة غير الواردة.

أما الخاتمة فضمنتها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث في رسالة أسباب حدوث الحروف أخذا بعين الاعتبار ومن باب الاستعانة بآراء أبرز الصوتيين العرب كالخليل وسيبويه والفارابي والكندي، دون أن أغفل عن دراسات ابن سينا التي جاءت في كتبه الأخرى مثل: الشفاء(قسم الطبيعيات جزء النفس) والقانون في الطب، لأن ما فيها يساعد على فهم كثير من أفكاره في الرسالة ومادمت بصدد دراسة مدونة علمية بكل المقاييس، محتوية على معلومات تشريحية وفيزيائية أحيانا -علما أن الذي يهمني في بحثي هذا هو الجانب النطقي فقط أي الصوتيات النطقية، أما الجوانب الأخرى سيشار إليها -فإن المنهج المناسب هو المنهج التحليلي وليس من المناسب أن أطبق على المدونة المنهج الوصفي، وإن كان فلا بد من الارتكاز على التحليل، لأن الغرض هو إبراز القيمة العلمية للرسالة بتحليلها وتحديد مصطلحاتها ومفاهيمها ، وتحليلها لا يكون إلا بالاستعانة بما قاله أبرز الصوتيين العرب قبل ابن سينا، وكذلك ما أثبته العلم الحديث.

وهناك قضايا ينبغي الإشارة إليها منها:

- كون البحث علميا مرتبطا بعلم التشريح فإني وجدت نفسي ملزما بالاستعانة بكتب علم التشريح الحديث، وتجنبا لإشكالية الترجمة اعتمدت على ترجمة المعاني ولذلك لم أضع المعاني المترجمة بين قوسين وإنما اكتفيت بوضع الرقم على آخر كلمة تمثل الجملة المترجمة.
- حاولت أن أربط الرسومات بالقضايا التي تطرق إليها ابن سينا دون أن أترجم كل أجزاء الرسم التشريحي وإنما اقتصرت على أهم الأجزاء ومصطلحاتها .
- الرسومات مأخوذة من كتابي:

- La voix 1.Anatomie et physiologie des organes de la voix et de la parole، لمؤلفيه: François le Huche et AndréAllali، وكتاب: Cahiers Danatomie O.R.L:لمؤلفيهF.Legent .L perlemuter….

- الأشكال المأخوذة من الكتاب الأول هي:1-3-4-5-6-9-10-13 .
- والمأخوذة من الكتاب الثانيهي:2-7-8-11-12.
- ترتيب المصطلحات في الملحق عربي ألفبائي مع حذف الألف واللام من المصطلح.
- وكذلك في المتن بحسب المجال.
- في المتن حاولت أن أضع المقابل للمصطلحات المتعلقة بالدراسة فقطأ أما العناوين المتعلقة بالبحث ككل فلم أضع لها المقابل.
- المصطلحات المثبتة في الملحق هي الواردة في رسالة أسباب حدوث الحروف المتعلقة بالصوتيات النطقية ولم أتطرق إلى غيرها، فمثلا في الفصل الأول أوردت مصطلحات كفروع الصوتيات باللغتين دون ذكرها في الملحق.
- اعتمدت الرواية الأولى وهذا لحصر العمل والتدقيق واستعنت بالرواية الثانية أحيانا للاستفادة مما تضمنته من قضايا مكملة لما ورد في الرواية الأولى.
- أحيانا أتصرف في بنية المصطلح الوارد في المذكرة ، فمثلا: مصطلح: إطباق اللسان، رغم ان ابن سينا قال: انطباق اللسان، لأن الصوتيين العرب تعودوا على أن يقولوا: إطباق اللسان.
- من أجل الوصول إلى دراسة تتناسب ومستوى الرسالة وقيمتها العلمية استعنت بمجموعة من المصادر والمراجع العربية والأجنبية، **ومن أهم المصادر التراثية**:

(1) كتاب العين للخليل، خاصة مقدمته لأنها أصل جميع الدراسات الصوتية.

(2) كتاب سيبويه لأنه مصدر يمثل نضج الدراسات اللسانية عموما والصوتية خصوصا، ودرجة النضج المقصودة لا تعني الاكتمال لأن ما أضافه ابن جني مثلا

عظيم، و ما أضافه ابن سينا متميز أيضا لأن منهجه تجريبي أكثر من غيره.(حيث تناول الصوتيات من الجانب التشريحي).

(3) سر صناعة الإعراب لابن جني، خاصة مقدمته التي تمثل قمة التطور في الدراسة الصوتية في ذلك الزمان.

(4) رسالة يعقوب الكندي في اللثغة، وهي رسالة قيمة حيث جمعت بين جانبين: أمراض الكلام والصوت اللغوي.

(5) كتاب الشفاء(النفس) لابن سينا حيث تحدث فيه عن السماع والصوت، كتاب: القانون في الطب، وهو مصدر قيم ساعدني على فهم المصطلحات المتعلقة بالصوتيات النطقية.

(6) كتاب شرح تشريح القانون لابن النفيس، وهو مصدر مهم ساعدني كثيرا على ما بدا غامضا من مفاهيم متعلقة بأعضاء النطق.

ومن المراجع العربية التي استعنت بها كتاب: علوم الصوتيات عند ابن سينا لمحمد صالح الضالع، وبحوث الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح المنشورة في مختلف المجلات العربية والتي أعيد طبعها ونشرها في كتاب جديد: "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية" في جزئين.

أما المراجع الأجنبية فقد اعتمدت على كتب منها: كتاب الصوتيات**(Phonétique)** لـ: بارتلمالمبرج(BertilMalmberg) وقاموس اللسانيات **(Dictionnaire de la linguistique)** لجورج مونان(GeorgeMounin) .

ولا أحسب أن بحثا كهذا الخوض فيه سهل والتمكن من حقائقه ميسّر، لأنه متعلق بمعارف كانت في القرن الرابع الهجري، فدراسات ابن سينا متميزة باللغة العلمية المتخصصة المتوافرة حينها، ومصطلحاته مزيج بين العربي والأعجمي، جامعة بين الفلسفة والطب وعلوم أخرى.

ولكن وجود كتب المؤلف مثل: القانون في الطب، والشفاء باستثناء جزء: جوامع الموسيقى الذي لم أتحصل عليه ورسالة أسباب حدوث الحروف التي هي مدونة البحث، وكتب أخرى مثل شرح تشريح القانون ذلل كثيرا من الصعوبات.

obeikan.com

تمـــــهيـد

ليس من السهل استقصاء التراث اللساني العربي، لأنه احتوى علوما ونظريات قد يصعب حصرها، إذ إن المنطلق النظري يجعلنا نعتقد أن الجديد من الدراسات والنظريات اللسانية يغنينا عن الأخذ من التراث، ولكن الواقع يفرض توجها وحقيقة أخرى، وهي أن التراث العربي فيه من الأصول التي لا يمكن تركها وبترها عن حاضرنا.

ولهذا فإنه لابد من عودة إلى الأصول وقراءتها جيدا، أو إعادة قراءتها، لأنه ليس بالضرورة أن ما قيل عن التراث صحيح أو استوفاه الدارسون حقه ومن هذه الجوانب التراثية في علوم اللسان: الصوتيات.

إن الذي وجد من أجله البحث هو إبراز أهمية التراث وقيمته مع الاستعانة بآراء المحدثين والنتائج العلمية والنظريات الصوتية الحديثة، والاستعانة هاهنا من أجل فهم بعض المفاهيم التراثية المستعصية.

فقد اشتغل النحاة الأوائل بالظواهر الصوتية منذ بداية الحركة العلمية الأولى، وهي بداية نهضة لسانية بلغت درجة عالية من التمكن والتمكين، فاشتهر الخليل بن أحمد الفراهيدي بكتابه: العين، وسيبويه (بالكتاب) وابن جني بسر صناعة الإعراب، وهؤلاء كلهم نحاة. وتوسعت دائرة الاهتمام بالصوتيات، لتتعدى النحاة إلى الفلاسفة والأطباء، فعرف الكندي والفارابي وإخوان الصفا وابن سينا، وظهرت نظريات صوتية أخرى مشحونة بالأفكار الفلسفية والطبية، هذا ما جعل الصوتيات علما مستغرقا لكثير من الفروع العلمية الأخرى.

ومن الجدير أن يكون الأطباء محور الدراسة لأن دراستهم متميزة عن دراسة النحاة والقراء ومن بينهم الطبيب الفيلسوف ابن سينا الذي نجده طبيبا ومشرحا وصوتيا من خلال بعض كتبه مثل الشفاء، والقانون في الطب ورسالة أسباب حدوث الحروف.

إن الصوتيات ليست علما وحيد الاتجاه مستغنيا عن علوم أخرى، بل نجده شديد الحاجة إلى معطيات علوم كثيرة مثل: علم التشريح والفيزياء وعلم النفس الإدراكي، وعلم

النفس العيادي وهذا ما وجدته بقوة في دراسات ابن سينا خاصة: علم التشريح الذي وظفه لدراسة الجهاز النطقي ومعرفة أعضاء النطق والعمليات النطقية.

كما أن الصوتيات كباقي العلوم تحتاج إلى مصطلحات هي مفاتيح لها، إلا أن الملاحظ هو أن مصطلحات الصوتيات متباينة بين النحاة الأطباء، وأحسب أن هذا التباين سببه هو اختلاف وجهة نظر كل طرف، ولذلك جاءت كثير من مصطلحات ابن سينا جديدة مختلفة في معظمها عن الفكر الصوتي العربي الذي سبقه، ومن هنا اكتسبت دراساته أهمية بالغة، سواء من حيث المضمون المعرفي المتمثل في تحليله لظاهرة الصوت أو من حيث المنهج في الدراسة أو من حيث المصطلحات العلمية الموظفة.

إن المصطلحات مداخل إلى العلوم، والمصطلحات رموز إلى مفاهيم معينة، ولذلك فالعلاقة القائمة بين المصطلحات والمفاهيم تحتاج إلى ضبط حتى تستقر في أذهان العلماء والباحثين في علم من العلوم، وقد جاءت دراسات ابن سينا مشحونة بالمصطلحات الصوتية العلمية خاصة رسالة أسباب حدوث الحروف التي هي مدونة البحث، وهذه المصطلحات تحتاج إلى تصنيف وتبويب ودراسة مفاهيمها جيدا، اعتمادا على ما جاء في كتب أخرى للمؤلف مثل: الشفاء، والقانون في الطب، وكتب ألفت حول علم ابن سينا مثل: شرح تشريح القانون لابن النفيس، فالأفكار مكملة بعضها لبعض، ولا بد من دراسة أكبر قدر ممكن مما قاله العلماء قديما وحديثا، فما توصل إليه العلم الحديث في مجال الصوتيات وفروعها ليس منفصلا عما قاله العلماء قديما، وهذا الذي يعطي للتراث قيمة علمية، وهنا لا بد من تخصيص الكلام عن التراث العربي لأن له مكانة عظيمة في العلم الحديث، وهذا ما نجده في مختلف البحوث المنشورة، ومتن المذكرة في معظمه توضيح لهذه الحقيقة.

وتعد "رسالة أسباب حدوث الحروف" رسالة تحتوي خلاصة أفكار المصنف، كما أنها جد متخصصة وتحتوي على أفكار صوتية تحتاج إلى دراسة وتحليل للمصطلحات والمفاهيم، وهذه المصطلحات سواء تعلقت بأعضاء الجهاز النطقي من الحجاب الحاجز إلى الشفتين أو بمخارج الحروف وأسباب حدوثها أو بهيئاتها.

ولمعرفة فكر ابن سينا في دراسته لأصوات اللغة، وفلسفته في تحليل عمليات النطق وكذا مدى أهمية الرسالة فلا بد من دراسة مصطلحاته ومفاهيمه وأفكاره حول الصوتيات حتى يبرز جانب من تراثنا.

obeikan.com

obeikan.com

مدخـــــــل

مـدخـل: فـي المصطلح والمفهوم: Terme et concept

البداية تكون من تفكير الباحث وبحثه في العلوم، حيث يجد نفسه مضطرا للجوء إلى أدوات يتعرف بها على أي علم من العلوم، ومفاتيح تيسر له دراستها، وكذلك للتواصل مع العلماء والباحثين في ذلك التخصص.

وتتعدد هذه المفاتيح بتعدد العلوم فكل علم له مصطلحات خاصة به، ولا شك أن هذه المصطلحات قد تراكمت منذ عقود من الزمن، خاصة وأن المعرفة من خاصيتها التراكموقد حدثت فيها تحولات كبيرة في المضامين والأهداف، وهذا ما اقتضى تغير المصطلحات في أحايين كثيرة، فعلم الفلك كان يعرف في القديم بعلم التنجيم، ومصطلحات هذا العلم في زماننا ازدادت وتغيرت، وعلم اللسان- خاصة الفروع العلمية منه- تطورت وكثرت مصطلحاتها، وهذا التنوع والتوسع حدث فيه تعدد في المصطلحات، وتباين في المفاهيم بين العلماء.

وقد درج اللسانيون العرب منذ البدايات الأولى على وضع مصطلحات دالة على مفاهيم معينة، ومن هذه العلوم التي لقيت عناية فائقة: الصوتيات، وهو علم بعيد الغور، عظيم الفائدة، كثير التشعب، ذلك أنه مقترن بعلوم أخرى، وهو ما جعل الباحثين فيه متخصصين في تخصصات علمية أخرى، وبالتالي مصطلحاتهم متباينة، تخصص في علم القراءات، ومنهم النحوي، ومنهم الطبيب والفيلسوف، ويحدث أن نجد مصطلحات صوتية عند عالم هي غير موجودة عند غيره، فمصطلحات النحاة تختلف أحيانا عن مصطلحات علماء التجويد، ومصطلحات الأطباء تختلف اصطلاحا ومفهوما عن مصطلحات النحاة وعلماء التجويد، بل نجد مصطلحات عند الأطباء غير موجودة تماما عند النحاة وهذا أمر يستدعي النظر في بعض كتب الأطباء والفلاسفة لمعرفة مصطلحات ومفاهيم مغايرة لتلك المعهودة عند النحاة، فالمصطلح والمفهوم الذي يدل عليه ذلك المصطلح موضوع مهم لا بد للمتخصص من معرفة حد كل واحد منهما والعلاقة بينهما.

أولا: حـد المصطلـح:

1- **لـغـة:** المصطلح مأخوذ من اصطلح يقال: «اصطلح القوم: زال ما بينهم من خلاف واصطلحوا على الأمر: تعارفوا عليه واتفقوا، والاصطلاح مصدر اصطلح، والاصطلاح اتفاق طائفة على شيء مخصوص، ولكل علم اصطلاحاته»[1].

2- **اصطلاحا:** يعرف على أنه« وحدة لغوية تشير إلى المفهوم المحدد في لغة اختصاص معين ويمكن أن يكون كلمة أو كلمات...»[2]

ويعرف أيضا بأنه: «أداة البحث، ولغة التفاهم بين العلماء، وجزء مهم من المنهج العلمي»[3]

فالمصطلح هو أول ما ينبغي أن يتوفر في العلم كي تتحقق فائدته، ويكون منقولا متوارثا.

ويعرف الدارسون والباحثون ما فيه من نظريات، فلا علم دون مصطلحات، لأنه بذلك يصير مبهما، ولا يتحقق التفاهم بين العلماء إلا بالمصطلحات.

وهذه الوحدات لا بد أن تكون وثيقة الصلة بالتخصص الذي يبحث فيه، وإلا حدث التداخل المفضي إلى الفوضى في المصطلحات، فهناك مصطلحات تذكر في عدة علوم، وفي كل علم لها معنى محدد والعلماء هم الذين يحددون المعنى الدقيق لها.

ثانيا: حـد المفهـوم:

1- **لـغـة:** جاء في لسان العرب « الفهم معرفتك الشيء بالقلب، فهمه فهما وفهامة علمه ...وفهمت الشيء عقلته وعرفته»[4]، وجاء في المعجم الوسيط« فهمه فهما: أحسن تصوره...والفهم حسن تصور المعنى»[5].

---

(1)– مجمع اللغة العربية بالقاهرة- المعجم الوسيط- المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع- استانبول- تركيا- ج1- ص520.

(2)– محمد العربي ولد خليفة- من المفهوم إلى المصطلح- مجلة اللغة العربية- المجلس الأعلى للغة العربية- ع14- 2005- ص 116-117.

(3)–عبد الكريم خليفة- اللغة العربية والتعريب في العصر الحديث ص54- نقلا عن سمر روحي الفيصل- المشكلة اللغوية العربية- دار جروس برس-طرابلس-لبنان-ط1- 1992-ص108.

(4)– ابن منظور. جمال الدين. لسان العرب. دار صادر. بيروت. لبنان- دط، دت - ج12. ص459.

(5)– المعجم الوسيط-جـ2- ص704.

2- **اصطلاحا:** «هو وحدة تفكير مكونة بالتجريد انطلاقا من خصائص مشتركة لمجموعة موضوعات، فالموضوع نبات مثلا: يعد مفهوما عاما يصلح لتسمية كل النباتات، ويمكن للمفهوم أن يكون مفردا أو مركبا[1]»، فالمفهوم مجال أوسع من المصطلح وهو يوجد قبل المصطلح، لأن المصطلح يستدعي وجود المفهوم من أجل التواصل بين العلماء والدارسين في علم ما.

هذا الأمر جعل المفهوم مختلفا من مجال لآخر والمصطلحات واحدة، فالبنية مصطلح له مفاهيم عدة بحسب التخصصات والعلوم، فمفهوم البنية في البيولوجيا مختلف عما هو عليه في الفيزياء واللغة، وهذا ما يعني أن المصطلح وحده لا يكفي بل لا بد من عقد صلة بين المصطلح والمفهوم الذي تضمنه.

ثالثا: بين المصطلح والمفهوم:

عرفنا أن المصطلح آلة التعبير عن مفهوم ما، فالمفهوم يبقى واسعا إن لم يضبط بمصطلح يخصصه، فإذا كان المفهوم وحدة تفكير مكونة بالتجريد أي بالتصور المحض فإنه لا بد من مفاتيح تضبط هذا التجرد الواسع، فالمصطلح آلة تضبط المفهوم لكي تحقق التواصل بين العلماء في شتى العلوم. ومن هذا تبين تعريف علم المصطلح أي كونه: «العلم الذي يبحث في العلاقة بين المفاهيم العلمية والألفاظ اللغوية التي نعبر عنها»[2].

فإذا انعدمت العلاقة بين المفهوم والمصطلح لم يتحقق شرط دلالة المصطلح على المفهوم المحدد، وهذا هو سبب انتشار الاختلاف والتباين في المصطلحات خاصة عند اللسانيين العرب، حيث نجد عدة مصطلحات لمفهوم واحد، رغم أن هذا المفهوم قديم وتطرق إليه اللسانيون العرب الأوائل إلا أن أسبابا كثيرة جعلت الخلاف يشب ولعل أبرزها:

1/ التأثر بالدراسات اللسانية الغربية عموما والدراسات الصوتية خصوصا، وهذا ما أدى إلى ترجمة كتاباتهم ونقلها دون تفحص جيد.

---

[1]- محمد العربي ولد خليفة- من المفهوم إلى المصطلح- مجلة اللغة العربية- المجلس الأعلى للغة العربية- ع14- 2005- ص 116.

[2]- صالح بلعيد-المؤسسات العلمية وقضايا مواكبة العصر في اللغة العربية- ديوان المطبوعات الجامعية- بن عكنون- الجزائر- ط1995- ص5.

2/ النقص في مراعاة العلاقة بين المصطلح والمفهوم، والمصطلح والعلم الذي ينتمي إليه، فالمفهوم صورة تختمر في الذهن، وفكرة ترسخ في الفكر، والمصطلح رمز تلك الصورة أو الفكرة، والمفهوم قد يتحد في أذهان الصوتيين مثلا ولكن المصطلحات كثيرا ما تتعدد، وهذا حدث في عهد سيبويه وابن جني وابن سينا، خاصة ابن سينا الذياعتمد مصطلحات جديدة لم يعهدها الصوتيون العرب الذين سبقوه والذين عاصروه، فنجده يوظف مصطلحات مثل: الرطوبة، الحصر، والحبس... وبصورة متكررة.

ولا بد من التأكيد على قضية مهمة في علم المصطلح وهي أن المصطلحات تتجدد وتكثر مع مرور الزمن وتطور العلوم، فعلوم اللسان في عهد ابن سينا مثلا غير علوم اللسان في عهد سيبويه من حيث الكم والكيف، ولذلك كثرت المصطلحات، وازدادت خصائصها دقة كما نجد ذلك عند ابن جني البارع في كتابيه: الخصائص وسر صناعة الإعراب، وعلوم اللسان في عصرنا غيرها عصر ابن سينا لأن دراسة تلك العلوم اتسعت، وأصبحت تعتمد فيها على معايير جديدة، فالصوتيات مثلا صارت علما مخبريا بالدرجة الأولى، بكل فروعه،(الصوتيات النطقية،السمعية، الفيزيائية...). وصارت الدراسات الحديثة التي لا تعتمد على الأجهزة المخبرية مثل: المطياف (Sonagraphe) دراسة غير دقيقة، اما علماؤنا قديما فكانوا يعتمدون على التجريب النطقيكما فعل الخليل وهلى التشريح كما فعل ابن سينا، وهذا يعني أن المصطلحات التي توظف في هذه الدراسات هي أيضا لا قيمة لها لأنها بذلك لا توافق المفهوم في غالب الأحايين، فإذا كان المفهوم دقيقا واكتمال صورته في الذهن لا يتحقق إلا بإدراك الحقيقة كما هي، فإن عدم سلوك السبيل التجريبية المخبرية لا يمكننا من وضع المصطلح المناسب، وإن وضع فإنه يكون متباينا بين الصوتيين وهذا واقع المصطلح الصوتي العربي في زماننا[1].

[1]-إن هذه الحال هي التي أفسدت البحث الصوتي وجعلته علما لا يتسم بالدقة، فتعدد المصطلحات للمفهوم الواحد جعل هذا العلم غامضا لأن المصطلحات مفاتيح العلوم كما قال الخوارزمي، وإذا كانت العلاقة بين المصطلح والمفهوم غير قائمة على المعايير العلمية، فإن هذا العلم يبقى متسما بالفوضى والاضطراب، ولذلك فإن الاعتماد على ترجمة ما جاء في الصوتيات الغربية وحدها دون إجراء التجارب على اللغة العربية، وفهم التراث جيدا أدى إلى تزاحم المصطلحات وكثرتها.